

وإن كان حظه يظهر ضئيلاً بهاته المدارس الأخيرة في نظر كثير من المسلمين وهكذا تبدي التجارب أن الديانة الإسلامية — التي هي بعيدة كل البعد عما تصور به أحياناً من أنها شبح مخيف للعداء المستمر والثورة المتأصلة — قوة معنوية يمكن التعاون معها في العمل لما فيها من عناصر للتربية الشخصية والنظام الاجتماعي وللولاء السياسي المبني على الاختيار والتعليل . هنري لاوست

✱ « لدعات بريئة ... » (٤)

شعراء الشباب

لعل قراء المجلة وقد وقع نظرهم على هذا العنوان يستغربون سرعة تحولي من الحديث عن شعرائنا الكبار الى شعراء الشباب ، وحديث الشيوخ لم ينته ، وقد شعرهم لم يتم بعد ، ومن القراء من يلح ويفرض علينا العود لشعر القباچ ، لأن شعره الكثير المليء بالحوادث والنوادر ، لا تكفيه اشارة ، ولا نحيط به المامة ، ويحتاج الى تعمق في البحث كبير ، وأكثرهم لا يزال ينتظر عملية جراحية في دماغ شاعرية الباقين الذين يعتبرون في نظر الجمهور فطاحل الادب وفحول الشعر في المغرب ، وهذا حق لا مندوحة عن أدائه ، وعهد مقطوع سوف نفي به متى انتهينا من حديث الشباب الذي أخذنا فيه ابتداء من هذا العدد ، واذا كنا قد تعجلنا شعراء الشباب وانتقلنا للحديث عنهم بسرعة فأنما فعل ذلك بدافع اضطراري ، وبعامل رغبة حارة لرفع التباس من يتوهم أننا نقصد جماعة دون أخرى ويتموننا بالاقصاء على طائفة الشيوخ .

حقاً ان حديث الشيوخ حديث طويل الذيل مديد السيل قد تنقضي شهور وتمر اعوام دون أن نحيط بهذا الجيش العرمرم من الشعراء الكبار الذين يزخر بهم المغرب ويذهي بهم القريض !! ومن خير الادب ونحن نرقب عن كشب ؛ فئة جديدة من الشباب ، تتطلع لتبوء مقاعد الاداب الرفيعة ، أن ندع الشيوخ الى حين ونلتفت الى شعراء الجيل اذ هم أحق بالعناية وأجدر بالاهتمام ، وهم

علمانية كعقول الفرنسيين على تفهم المذاهب الاسلامية وتحليل هاته المذاهب ومقابلتها ومن جهة أخرى فن المتعين أن تكون للطلبة الفرنسيين معرفة أحسن وأصح بالعربية العتيقة وباللغة الدارجة اذا اردوا الاشتغال فنا وتطبيقاً بالعربية العصرية التي هي اللغة التعليمية الوحيدة المستعملة عند العرب للاعراب عن أفكارهم مشافهة وكتابة .

وبعد فتجارب مصر في نظام التعليم جديدة بالتأمل ، ولا يمكن بالاحرى أن يجهلها الذين يدفعهم حب الاستطلاع أو يدفعهم وظيفهم الى الاهتمام بالتعليم العربي أو تنظيم المدارس الفرنسية الاسلامية وسنين في سلسلة جداول خاصة تتعلق بالنظم المدرسية من توزيع مواد القراءة وتفصيل برامجها وغير ذلك من المسائل الفنية جملة من الاعتبارات والدروس التي نرى الاقتداء بها من الضرورات ، ونكتفي اليوم بالفات النظر الى ثلاث نقط هامة هي خلاصة هذا المقال : (١) فالتعليم المصري لم يمكن في الابتداء إلا بفضل مساعدة جامعة الازهر العتيقة فهي التي أوجدت — رغم الانتقادات المتراكمة ضد اساليبها ومناهجها — أساتذة العربية الاولين وهي التي كونت جل المصريين الذين كان لهم أكبر تاثير في حياة مصر الاجتماعية والفكرية ، وفي الاخير هي الان — بعد الاصلاح الذي ادخل عليها — من أهم العناصر المكونة لشهرة مصر ونفوذها في البلاد الاسلامية الناطقة بالضاد ، (٢) وقد أصبحت العربية نهائية لغة التعليم والثقافة كما أصبحت البرامج تدريجياً عربية أيضاً وابتداءً ذلك بالتعليم الابتدائي فصار عربياً تماماً ثم تبع التعليم الثانوي ولم يتمكن التعليم العالي من التخلص نهائياً من بعض اللغات الاروبية التي لا يزال يحتاج اليها مدة ، (٣) واعتنت مصر بالتعليم الديني في المدارس الاولى والابتدائية ولم تهمل في المدارس الثانوية

أما (أحل) فقد كبر عليه ان اخطئه فيها ، وأراد ان يخرج من خطئه موفور الكرامة فاستنجد بالاجرومية ولا يعدم المكابر شقة تنجيح حتى لا يقتضح امره والعصمة لله وحده، على ان (أحل) يصلح ان يفهم كما زعم واراد، ولكن الذوق السليم الذي يجرمه الجامدون بآباء كل الابداء، ونحن نسأله اذا سلمناه مبنياً وأراد ان نجاريه في نحوياته لم حذف فاعله؟ ولم بناء للمجهول؟ وما هي النكتة لأن النكت جمعها من قال :

وحذفه الخوف والابهام ✱ والوزن والتحقيق والاعظام والعلم والجهل والاختصار ✱ والسجع والوفاق والايثار قد يقول الوزن، وقد يقول العلم، وقد يقول غير ذلك، لان المعاند لا يعدم حيلة ولكن الصناعة مع هذا لا تزال تسمثر من ذلك، ولو انصف واعترف بالحق لوضع ألم بدل أحل وترك الالتجاء الى هذا الالتواء والبناء المنهار وراحنا من الرد عليه والشعر يقتضي ان يكون عفواً وسلساً منسجماً لا تقعر فيه ولا افحام، والخلاصة أن السيد محمد الشنچيطي بمجهل المقصود بالنقد ودلنا أنه يضيق صدره منه، وكل المراد - كما تقتضيه سنة التطور - ان يقول الشاعر ما يوافق عصره، لا ما يوافق العصور الدائرة وهذا معترف به في جميع العصور الغابرة، من عصر الامويين الى الآن، ولكل عصر طابع خاص ولون يتميز به، ف شعر الامويين غير شعر الجاهليين، وما صدر عن العباسيين والاندلسيين، يخالف سنة من سبقهم وما يقوله اصحاب القرن السادس والسابع والثامن الذين اولعوا بالتورية والرقعة والانسجام - وان ادى الى ما أدى اليه - غير ما يقوله غيرهم، وتكرر له أن المسألة ذوقية - وان كره هذا اللفظ - وليست بنقلية ولا عقلية، وسياقي عصر ينكر فيه اصحابه ما نحن عليه الآن تبعاً للظروف ومقتضيات التنقل، وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) قضية التجدد في الادب وعرفنا بمعرفة بين القديم والجديد كانت موجودة في ذلك الحين، وقال ابن شرف القيرواني في اعلام الكلام :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ✱ ويرى للوائل التقديما ان ذاك القديم كان جديداً ✱ وسيغدو هذا الجديد قديماً ثم أورد هذين البيتين :

أغري الناس بامتداح القديم ✱ وبذم الجديد غير ذميم ليس الا لأنهم حسدوا الحسبي ورقوا على العظام الرميم

خلف من قبلهم في الحياة والنشء المقدر فوائد النقد والمتتبع حركات الاتجاج في المشرق والمغرب، وربما لم يسيئوا الظن بالنقد بقدر ما ازعج منه شيوخنا الذين اشتد بهم الغيظ والحنق وكم سبوا وكم ثلبوا والبوا ما شاءوا من الاشباع والانتصار للرد علينا بالحق والباطل، وسيبقى سخطهم مستمراً وحنقهم ممتداً ونحن في طريقنا نسير لا نهاب الرد ولا نهتم بسب الى أن يريحنا الله من هذا الشعر المبثذل والنظم المرذول، ولا نكتم الحق فانتقادنا على الشيوخ لم يغيرهم عن مجراهم ولم يحولهم عن اتجاهاتهم المعهودة وهذا السيد الشنچيطي يعلن في رده أنه لا يتحول عن التقليد ودون تحويله خرط القتاد، كأن الله جعل له عينيه خلف رأسه ولسانه في قفاه، لا ينظر الا من وراء، ولا ينطق الا بكل قديم مهجور، وقد توهم من مقالنا اننا ننكر وجود النسب في الشعر القديم ووجد الفرصة مناسبة لاجراء فتوى بأن النسب مباح بل مستحب لانه سنة النبي عليه السلام وعلى منهاجه تمت اقدام السلف وأبي الله الا أن يكون الطالب النحوي، أما قاضياً أو مقتياً، وأما أن يكون أدبياً كالجرجاني وأمثاله فهيهات أن يبلغ شأوهم ويدرك خصائصهم ولو دام في ركبهم يسير بالليل والنهار، ثم فتح امامه خزانة الادب لابي حجة، ومعاهد التنصيص فاستخرج ما أمكن له من (حسن التخلص والاقتضاب) وأتم على ذلك بالنقل من الدواوين التي عن يمينه وشماله ليشغل حيزاً كبيراً من المجلة وظن أن تلك الاشعار وتلك الكتب لا يعرفها الشباب وأن عمرهم فيها شب عن الطوق كاللوح الى ذلك في صدر مقاله، والحال أننا لم ننكر كل هذا ونعرفه جيداً وانما أنكرنا علاقة النسب بمدح صاحب الجلالة في هذا العصر، وسبق أن قلنا ان المتقدمين اذا ابتدأوا المدح بالنسب فلمهم العذر الجلي لانهم كانوا يفارقون الاهدل والاحباب ويتحملون مشاق كثيرة للوصول الى الممدوح ليجزل لهم الصلة والعطاء، فاذا توجعوا وتقرلوا وحنوا فتلک عاطفة صادقة انطقهم لا تختمل الكذب ولا المبالغة، وأما اليوم فأني لوعة واي اشجان؟ وأي داع للزفير يرسل في مطالع قصائد المديح، فهل سوى سد الفراغ؟

على أن هذا الشنچيطي الشاعر المبدع وصاحب العلم الغزير والثقافة العالية كما تصفه ادارة المغرب عن سخاء نسب لابن المبارك ابياتاً من قصيدة معروفة لابن ابي ربيعة، ولعل في هذه النسبة ما يدل على اطلاعه الغزير، ويستحق عليه كل اعظام واكبار !!

✱ حول رد «ابن تاشفين»

قرأنا في العدد الأخير من «مجلة المغرب» الغراء مقالا لأديب مراكشي رمز لاسمه بـ (ابن تاشفين) وهو برد على (ابن عباد) ويستنكر الخطبة التي يتبعها في نقد شعرائنا، وقد بدت لنا ملاحظات على هذا المقال، رأينا ان نعرضها على قراء «مجلة المغرب» المحبوبة، أبتدأ الكاتب بإيراد هذين البيتين:

ما الشعر الا شعوري جئت اعرضه

فانقده نقداً شريفاً غير ذي دخل

وأحسن النقد ما يرضى الجميع به

وأسوأ النقد ما يقضي الى الجدل

ونحن بكل تواضع، نفهم الاديب المراكشي، اننا لا نوافق الشاعر على ما يذهب اليه في البيت الثاني من ان اسوأ النقد ما يقضي الى الجدل، اذ كيف يمكن ان تترى ملكاتنا وتنضج افكارنا وتسمو مداركنا اذا لم يجادل بعضنا البعض بالتي هي أحسن واذا لم يشحذ ذهننا بمحتكاكه مع ما يخالف نظرنا ورأينا، والعجيب ان الكاتب يورد هذين البيتين وكأنهما حجة دامغة لا ياتياها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ويجب على كل من يسمعه ان يؤمن بصدق ادعائها ولو أن الكاتب لم يكتف بهذين البيتين بل أبان لنا عن مضار الجدل متبعاً القول الحجة لكان احسن صنعا، ولكنه يسترسل في كتابته وبعد مقدمة - لا أدري كيف أصفها - يشرح فيها معنى النقد، يأتي الى بيت القصيدة فيتهم (ابن عباد) بتناقض أقواله وبأنه لا يصريح بشيء الا ناقضه بعد سطور ويريد ان يبرهن على ذلك فيقول: «يقول (أي ابن عباد) تحت عنوان (شاعرنا المطبوع): اذ هو كما يقولون شاعر المغرب وبلبله الصداح، والشاعر المطبوع الذي لا يوجد له قرين في النظم والارتجال، تلك هي الالقاب التي يتمتع بها شاعرنا اليوم وقبل اليوم». ويقول فيما بعد: «وفي الحق ان الشاعر القبايج له آيات في الشعر سابقة» فهل هذا الا ما يسمى في نظر كل عقل سليم بالتناقض؟

ونحن تبرع عليه بالاجابة فنقول: ليس هذا من التناقض في شيء ايها الكاتب، فابن عباد ينتقد في الفقرة الاولى اعطاء الشاعر

الى غير هذا مما لا نرى حاجة الآن لنقله ما دامت الحاجة لم تدع اليه فليعرف هذا شاعرنا ولا يضق صدره حرجاً من النقد، ولقد عجبنا منه ينال من الشباب المثقف ويرميهم بالجهل، وفضله لا ينكر في حركة الادب والانتاج، ثم توجه الينا يقول: يظهر أن الناقد ممن لم يأخذ العلم عن الشيوخ فهو يلتقط ما يجده في الكتب والصحائف الخ ونحن لا نريد ان نذكر له ترجمة انسان متواضع يعرض عن الشهرة ويأبى أن يكون من عشاق الالقاب والامضاءات تحت كل سطر يكتبه، ولعل كلام شاعرنا اشد انطباقاً عليه فن منا يلتجئ للكاتب وينبئ للدواوين يستعين بها ويسلخها سلخاً، ورده عند القارئ اكبر شاهد، أما الصحائف فضلها على شاعرنا كبير، وجريدة «السعادة» بالباب، فهي التي اظهرته للوجود وسنعود لشعره بحول الله في فرصة اخرى وننقد رثاءه لشوقي ونكشف الغطاء عن بقية الابيات التي دلنا عليها في تاريخ مكتاس مع شدة احترامنا للمؤرخ الشهير النقيب الزيداني، وحينذاك رحمه الله برحمته. اما ابن تاشفين فبودي أن لا اوله بوخر، وهو ما يزال تلميذاً يأخذ العلم، وعجيب امر هذا الناشئ الصغير يأتي في أول مقاله ان يعترف بهرم شعر القبايج فلم يلبث الا قليلا حتى هدم كل ما بناه، وأورد لنا شهادة الشاعر على نفسه واعترافه امام جمع من ادباء مراكش ان شعره اليوم غيره بالامس الخ وهذه لطمة تناولها بيده، وادرك بها القراء كيف يكون التناقض الذي ينسبه اليه لو كان يفقه ويدري، أما شعر ذي الاصبع العدواني فان استدلاله عليه لا له، واذا تأملناه نجده شعر وصية من ادركه الهرم واشرف على القبر، يوصي اولاده ويودع الحياة مما جمعت من آمال واحلام وقوة النشاط والتهاب القرى لا يكون طبعاً الا في طور الشباب فهل يريد ان ينازع في هذا ايضاً، وهذه نظرية لم نأخذها من شعر الاخطل الصغير بشاره الخوري بل معروفة بالبداهة، والشعر القديم والحديث يزخر بالبكاء على الشباب والتحسر على انقضاء عهده وذبول زهره الباسم فاقرأ يا (ابن تاشفين) هاته الابيات من قصيدة أيي الطبيب لعلها تذهب من تفكيرك وتزيد في معلوماتك يقول:

واذا الشيخ قال اف فما حيلة الحياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب ✱ فاذا وليا عن المرء ولي
ونمسك الآن عن الاطالة في هذا الباب وندعو الله للكاتب بالفتح
انه هو الفتاح العليم ولقد حان التخلص للشباب، فلنبداً بشاعره
على بركة الله ✱ «تابع» (ابن عباد)